Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد السابع عشر || تاريخ الإصدار 2026-08-20

تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري

Dramatic Construction Techniques in Al-Buhturi's Poetry

م.م أحمد بردان جاسم آل جابر

Ahmed Bardan Jassim Al-Jaber

مديرية تربية المثنى

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61744

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
يتناول هذا البحث »تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري«، ويسعى إلى الكشف عن الوسائل الفنية التي أسهمت في تشكيل البعد الدرامي في تجربته الشعرية. وينطلق من أن البناء الدرامي لا يقتصر على حضور الصراع والحوار، بل يتشكل من تفاعل مجموعة من العناصر والتقنيات التي تمنح النص حركته وحيويته، وتساعد على بناء المواقف والصور وتوجيه الدلالات. وتنبع أهمية البحث من تقديم قراءة فنية لشعر البحتري تتجاوز دراسة الأغراض الشعرية والخصائص البلاغية منفردة، لتبحث في وظائف التقنيات داخل السياق الشعري وعلاقتها بتكوين المشهد والموقف. وتتمثل مشكلة البحث في تفرق مظاهر الدراما بين عناصر وتقنيات متعددة، واختلاف وظائفها من نص إلى آخر؛ الأمر الذي يستدعي تحليلها والكشف عن طبيعة إسهامها في بناء القصيدة. ويهدف البحث إلى تحديد أبرز تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري، وبيان وظائفها الفنية، وتوضيح كيفية توظيفها في تشكيل الحركة والصورة والمواجهة واستحضار المواقف السابقة. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال اختيار نماذج شعرية وتحليلها في سياقاتها، والاستعانة بالتحليل البلاغي والنصي بحسب طبيعة كل نموذج. وتوصل البحث إلى نتائج متعددة، أبرزها أن البناء الدرامي في شعر البحتري لا يتحقق بتقنية واحدة، وإنما ينشأ من تفاعل وسائل تعبيرية متنوعة تتكامل في تشكيل التجربة الشعرية. فقد أسهم التناص القرآني والتراثي والشعري في استحضار شخصيات ومواقف سابقة وإعادة توظيفها في سياقات جديدة، بما يعمق الدلالة ويمنح الخطاب حيوية حوارية. كما كشفت النماذج عن أن التشبيه والاستعارة والكناية لا تؤدي وظائف تزيينية فحسب، بل تسهم في تجسيد الحالات النفسية، وتحريك الصورة، وتصوير تقلبات الزمان وتبدل الأحوال. وأظهر التحليل كذلك أن بعض الأساليب التركيبية، مثل التقديم والتأخير والاعتراض، قد تؤدي دوراً في توجيه الانتباه وتأكيد أجزاء من الموقف الشعري، وإن لم تكن جميعها تقنيات درامية مباشرة. ويخلص البحث إلى أن القيمة الدرامية لهذه الوسائل تتحدد بوظيفتها داخل السياق، وبقدرتها على تحويل التجربة إلى مشهد فني متفاعل، وهو ما يكشف عن تنوع أدوات البحتري في بناء قصيدته وإثراء أبعادها التعبيرية.

الكلمات المفتاحية: البناء الدرامي، التقنيات الدرامية، البحتري، التناص، الأساليب الفنية.

Abstract:

This study, entitled "Dramatic Construction Techniques in Al-Buhturi's Poetry," examines the artistic devices through which dramatic dimensions are formed in Al-Buhturi's poetic experience. It proceeds from the assumption that dramatic construction is not limited to conflict and dialogue; rather, it emerges through the interaction of various elements and techniques that create movement, vitality, and coherence within the poetic text. The significance of this study lies in offering an artistic reading of Al-Buhturi's poetry that moves beyond examining poetic themes and rhetorical features separately, focusing instead on the functions of these techniques within the poetic context. The research problem arises from the diversity of dramatic manifestations and the varying functions they perform across different poems. Accordingly, the study aims to identify the principal techniques of dramatic construction in Al-Buhturi's poetry, explain their artistic functions, and demonstrate how they contribute to shaping movement, imagery, confrontation, and the evocation of earlier events and situations. The study adopts a descriptive-analytical approach, examining selected poetic texts within their contexts and employing textual and rhetorical analysis according to the nature of each example. The study reaches several findings. First, dramatic construction in Al-Buhturi's poetry does not depend on a single technique but results from the interaction of multiple expressive devices that work together to shape the poetic experience. Second, Qur'anic, cultural, and poetic intertextuality enables the poet to evoke earlier characters and situations and reinterpret them within new contexts, thereby enriching meaning and creating dialogic vitality. Third, simile, metaphor, and metonymy perform functions beyond ornamentation: they embody psychological states, animate poetic imagery, and represent the transformations of time and changing circumstances. The analysis also reveals that syntactic devices, such as fronting and postponement and parenthetical structures, can direct the reader's attention and emphasize particular aspects of the poetic situation, although they do not necessarily constitute direct dramatic techniques. The study concludes that the dramatic value of these devices depends on their contextual functions and their ability to transform poetic experience into an interacting artistic scene. This demonstrates the diversity of Al-Buhturi's expressive resources and their contribution to the artistic richness of his poetry.

Keywords: Dramatic construction, dramatic techniques, Al-Buhturi, intertextuality, artistic devices.

المقدمة

يُعدّ البناء من المفاهيم الأساسية في دراسة العمل الأدبي؛ إذ لا يقتصر على ترتيب العناصر المكوّنة للنص أو تنظيم أجزائه، بل يتصل بالطريقة التي تنتظم بها هذه العناصر وتتفاعل فيما بينها لتكوين وحدة فنية متماسكة، تتساند فيها اللغة والصورة والإيقاع والدلالة. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة البناء الشعري لا تقف عند حدود الموضوعات التي يتناولها الشاعر، وإنما تتجاوزها إلى الكشف عن الآليات التي اعتمدها في تشكيل تجربته، وتنظيم مكوناتها، وتحقيق التأثير الجمالي والفكري في المتلقي. فالبناء هو النظام الذي يربط أجزاء القصيدة، ويمنحها وحدتها الداخلية، ويحدد طبيعة العلاقات القائمة بين مكوناتها (يوسف عناد، 2016، ص 401)

أما البناء الدرامي في الشعر، فيُقصد به الطريقة التي تتحول بها التجربة الشعرية من مجرد تعبير وجداني أو وصف ساكن إلى موقف فني يتضمن حركة وتفاعلاً وتوتراً، تتشكل من خلالها الأحداث والمواقف والشخصيات والأصوات، سواء أكانت حاضرة بصورة مباشرة أم مستحضرة عن طريق الذاكرة والخيال. ولا يعني ذلك أن القصيدة تتحول بالضرورة إلى نص مسرحي، وإنما أن الشاعر يستثمر بعض العناصر الدرامية في تشكيل تجربته، فيجعلها أكثر حيوية وقدرة على تجسيد المواقف الإنسانية. ومن أبرز هذه العناصر الحوار، والصراع، والحركة، والمشهد، والشخصية، والزمان، والمكان، فضلاً عن الوصف والسرد وتعدد الأصوات (دهنون، 2021، ص 113)

وتتصل التقنيات الدرامية بالوسائل الفنية التي يستخدمها الشاعر لإنتاج هذا الأثر داخل النص، وهي لا تقتصر على العناصر الدرامية المباشرة، بل تشمل أيضاً الأدوات البلاغية والأسلوبية التي تسهم في تشكيل المشهد وتوجيه الحركة وبناء الدلالة. ومن ذلك التناص، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والتقديم والتأخير، والاعتراض، وغيرها من الوسائل التي يمكن أن تؤدي وظائف تتجاوز التزيين اللفظي إلى الإسهام في بناء الموقف الشعري. فالتقنية في هذا السياق ليست عنصراً منفصلاً عن التجربة، وإنما وسيلة فنية تتحدد قيمتها بمدى فاعليتها في تنظيم النص وإبراز أبعاده الدرامية. وقد أشار علي عمران إلى أهمية التقنيات الدرامية في تطوير فاعلية البناء الشعري، وبيّن أن الدراما لم تنفصل عن الشعر عبر تاريخه، وإن اختلفت صور حضورها وطرائق توظيفها (عمران، 2013: 19)

وقد عرف الشعر العربي القديم مظاهر متعددة من التشكيل الدرامي، ظهرت في تصوير الرحيل والحرب والحب والموت، وفي بناء المواقف التي تتفاعل فيها الذات مع الآخر أو مع قوى الحياة والزمان. ولم تكن هذه المظاهر محصورة في القصائد ذات الطابع القصصي، بل حضرت كذلك في القصائد الغنائية والوصفية والمدحية والهجائية، من خلال الحوار والتصوير والحركة واستحضار الشخصيات والأحداث. ويكشف هذا الحضور عن قدرة الشعر العربي القديم على استيعاب عناصر درامية متنوعة، وتوظيفها ضمن بنيته الخاصة من غير أن يفقد خصائصه الشعرية (حسيب، 2011: 15)

ويُعدّ البحتري من أبرز شعراء العصر العباسي الذين تتجلى في شعرهم إمكانات التشكيل الدرامي، فقد امتاز بتنوع أغراضه الشعرية، وبقدرته على بناء الصور والمواقف، واستثمار الوصف والحوار والتصوير في التعبير عن التجارب الإنسانية. وقد أسهمت عنايته باللغة والصورة والخيال في جعل كثير من قصائده تتجاوز حدود الوصف المباشر إلى تشكيل مشاهد نابضة بالحركة والانفعال. وتتضح هذه الخصائص في قصائده التي يصور فيها القصور والطبيعة والذئب والزمان، كما تظهر في مواقفه المدحية والهجائية والوجدانية، حيث تتداخل الصورة مع الحركة، ويتحول الوصف إلى مشهد، وتصبح العبارة الشعرية أداة لتجسيد موقف أو توجيه خطاب. وقد أكدت دراسة الوصف في شعره تنوع موضوعاته الوصفية، وعنايته بالألوان والصور الحسية والخيال في بناء المشهد الشعري (لهيمص، 2023: 173). كما كشفت دراسة خصائصه الفنية عن عنايته باللغة والبيان وبناء القصيدة والصور والأخيلة والموسيقى، وهي عناصر تتيح النظر إلى شعره من زاوية التشكيل الفني المتكامل (محمد على، 2016، 24)

ولا تتجلى الدراما في شعر البحتري من خلال وجود الصراع وحده، بل تظهر في طرائق تشكيل المواقف الشعرية، وفي استدعاء الشخصيات والقصص السابقة، وتبادل الخطاب بين الشاعر ومخاطَبيه، وتصوير التحولات التي تطرأ على الأشياء والأحوال. ففي بعض قصائده تتشكل الدراما من خلال الحوار والمواجهة، وفي نماذج أخرى تنشأ من الحركة التي يضفيها على الصورة، أو من تشخيص الدهر والأيام، أو من استحضار قصة دينية أو مثل عربي أو نص شعري سابق. كما تؤدي الأساليب البلاغية دوراً في توجيه المشهد وتكثيف دلالته، فتتحول الاستعارة إلى وسيلة لتجسيد المعاناة، ويصبح التشبيه أداة لبناء صورة متحركة، ويسهم التناص في استحضار موقف سابق وإعادة توظيفه داخل سياق جديد. وبذلك تتعدد مستويات الحضور الدرامي في شعره، وتتداخل التقنيات التعبيرية في إنتاج بنية شعرية تتجاوز حدود القول المباشر.

ومن هنا جاء اختيار موضوع »تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري «رغبةً في الكشف عن الوسائل الفنية التي أسهمت في تشكيل البعد الدرامي في تجربته الشعرية، وبيان كيفية توظيفه العناصر الدرامية والتقنيات البلاغية في بناء المواقف والصور. كما يرتبط اختيار الموضوع بالحاجة إلى توجيه الاهتمام النقدي نحو شعر البحتري من زاوية تتجاوز دراسة الأغراض الشعرية والخصائص البلاغية منفردة، لتبحث في وظائف هذه العناصر داخل البناء الكلي للقصيدة، وفي العلاقات التي تنشأ بينها لتحقيق الأثر الدرامي.

وتتمثل مشكلة البحث في أن مظاهر الدراما في شعر البحتري تتوزع بين عناصر وتقنيات متعددة، ولا تظهر جميعها بالدرجة نفسها أو تؤدي الوظيفة ذاتها؛ فقد تتصل بعض التقنيات ببناء الحدث والمواجهة والحركة، بينما تسهم تقنيات أخرى في تشكيل الصورة أو تكثيف الدلالة أو استحضار موقف ثقافي سابق. ومن ثم تبرز الحاجة إلى دراسة هذه التقنيات في سياقاتها الشعرية، والكشف عن طبيعة وظائفها، ومدى إسهامها في بناء الموقف الدرامي وتطويره. وعلى هذا الأساس يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي :ما أبرز تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري، وكيف أسهمت في تشكيل المواقف والصور والدلالات داخل قصائده؟ ويتفرع عن هذا السؤال النظر في طبيعة العناصر الدرامية التي وظفها الشاعر، والوسائل البلاغية التي استعان بها في تشكيلها، والوظائف الفنية التي أدتها تلك التقنيات في بناء تجربته الشعرية.

هدف البحث

يهدف البحث إلى الكشف عن تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري، وتحديد أبرز الوسائل الفنية التي اعتمد عليها الشاعر في تشكيل المواقف والصور الشعرية، مع بيان وظائفها في بناء الحركة والحوار والتوتر واستحضار الشخصيات والأحداث. كما يسعى إلى توضيح العلاقة بين التقنيات البلاغية والأساليب التعبيرية من جهة، والأثر الدرامي الذي تحققه داخل النص من جهة أخرى، وصولاً إلى إبراز خصوصية التجربة الشعرية لدى البحتري في توظيف الإمكانات الدرامية ضمن بنية القصيدة العربية القديمة.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أنه يتناول شعر البحتري من زاوية فنية تسعى إلى الكشف عن آليات تشكيله الدرامي، بدل الاكتفاء بتحديد أغراضه أو وصف خصائصه البلاغية بصورة منفصلة. كما تكمن أهميته في توضيح أن الدراما في الشعر لا تتوقف عند الصراع أو الحوار المباشر، بل تتشكل من خلال تفاعل مجموعة من التقنيات التي تسهم في بناء المشهد وتطوير الموقف وإغناء الدلالة. ومن شأن هذه الدراسة أن تقدم قراءة تكشف عن جوانب من التماسك الفني والحيوية التصويرية في شعر البحتري، وأن تضيف منظوراً تحليلياً يمكن الإفادة منه في دراسة البناء الدرامي لدى شعراء العربية القدامى.

منهج البحث

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال رصد تقنيات البناء الدرامي في نماذج مختارة من شعر البحتري، وتصنيفها بحسب طبيعتها ووظيفتها الفنية، ثم تحليلها في سياقاتها النصية للكشف عن كيفية اشتغالها في تشكيل الموقف والصورة والحركة. ويستعين البحث بالتحليل البلاغي عند دراسة التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الأساليب، وبالتحليل النصي عند تناول التناص والحوار واستحضار الشخصيات والمواقف، مع مراعاة التمييز بين التقنية التي تسهم مباشرة في بناء الحركة الدرامية، والتقنية التي تقتصر وظيفتها على تعميق الصورة أو توجيه الدلالة.

الدراسات السابقة

المحور الأول: الدراسات المتعلقة بالبناء الدرامي في الشعر

1 .دراسة داوود، محمد داوود محمد، وعزيبي، مصباح علي موسى (2024)، بعنوان: «بنية الزمكان الدرامية في الشعر العربي القديم: قراءة في شعر عمر بن ربيعة»، مجلة الدراية، المجلد 2024، العدد 24، الجزء الثاني، ص 553–599.

درس الباحثان مكوّن الزمان والمكان بوصفه أحد العناصر المركزية في البناء الدرامي، واتخذا من شعر عمر بن أبي ربيعة مجالاً للتطبيق، للكشف عن كيفية تشكّل الفضاء الزمكاني وعلاقته بالمواقف والتجارب الشعرية. وتوصلت الدراسة إلى أن الزمان والمكان لا يؤديان وظيفة وصفية فحسب، بل يسهمان في تشكيل البنية الدرامية للنص، ويؤثران في طبيعة التجربة الشعرية وتطورها. وتختلف هذه الدراسة عن البحث الحالي في أنها خصصت المعالجة لمكوّن الزمكان في شعر شاعر أموي، في حين يتناول البحث الحالي مجموعة من تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري، ولا يقف عند عنصر واحد منها. ويفيد البحث منها في توضيح الوظيفة الدرامية للزمان والمكان، وفي الإفادة من طريقة ربط العناصر المكانية والزمانية بالسياق الشعري .

2 .حسيب، عماد (2011)، «البناء الدرامي في الشعر العربي القديم»، القاهرة: شمس للنشر والإعلام.

درس الباحث مظاهر التشكيل الدرامي في الشعر العربي القديم، متتبعاً حضور الدراما في موضوعات الرحيل والحرب والحب والموت، كما تناول بعض العناصر الدرامية في نماذج شعرية لعدد من الشعراء، مثل الحوار والقص والحركة والصراع واستدعاء القصص الدينية والاجتماعية. وتوصل إلى أن القصيدة العربية القديمة تمتلك إمكانات درامية متعددة، وأن هذه الإمكانات لا تقتصر على الصراع، بل تتجلى في طرائق بناء المشهد وتحريك الصورة وتشكيل المواقف. وتختلف هذه الدراسة عن البحث الحالي في اتساع مجالها ليشمل شعراء وتجارب متعددة، بينما يركز البحث الحالي على تجربة البحتري، مع إيلاء عناية خاصة للتقنيات البلاغية والأسلوبية التي تسهم في تشكيل البناء الدرامي. ويفيد البحث منها في

تأصيل مفهوم الدراما في الشعر القديم، وتحديد العناصر التي يمكن الاستناد إليها في تحليل النماذج الشعرية، فضلاً عن الإفادة من مقاربتها للصورة والحركة والحوار .

المحور الثاني: الدراسات المتعلقة بالبحتري وشعره

3 .حريري، أناهيد عبد الحميد جمال (2023)، «تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري»، المجلة العربية مداد، المجلد 7، العدد 23، ص 1–48.

درست الباحثة التناص في سينية البحتري، وكشفت عن الكيفية التي استعاد بها الشاعر صورة الطلل الموروثة، وأعاد تشكيلها في سياق تجربته الخاصة، مع تحليل مستويات التناص الموضوعي، ومنها التناص المكاني والزماني وتناص الشخصيات والمشاعر، ومستوياته الشكلية، ومنها التناص التصويري والتكراري والتضادي. وتوصلت الدراسة إلى أن التناص في السينية لم يكن مجرد استعادة للنموذج الشعري القديم، بل كان وسيلة للتعبير عن تحولات الواقع العباسي واستحضار دلالات تتصل بالحاضر والمستقبل. وتختلف هذه الدراسة عن البحث الحالي في أنها اقتصرت على قصيدة واحدة، وركزت على التناص ورمزيته، في حين يتناول البحث الحالي تقنيات البناء الدرامي في نماذج متنوعة من شعر البحتري، مع دراسة التناص إلى جانب الأساليب البلاغية وغيرها من الوسائل الفنية. ويفيد البحث منها في تحليل التناص بوصفه تقنية تستحضر الموروث وتعيد توظيفه في بناء الموقف الشعري، كما تساعد في الكشف عن الصلة بين النص السابق والتشكيل الدرامي للنص اللاحق .

4 .بلهادي، حسين (2023)، «التناص في شعر البحتري: قراءة في المرثية والسينية»، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 9، العدد 1، ص 60–78.

درس الباحث ظاهرة التناص في شعر البحتري من خلال قصيدتي المرثية والسينية، ساعياً إلى الكشف عن مظاهر تفاعل النص الشعري مع النصوص السابقة، وبيان القيمة الفنية التي يحققها هذا التفاعل في تشكيل المعنى. وتوصلت الدراسة إلى أن التناص يفتح آفاقاً جديدة لقراءة الشعر القديم، ويساعد على الكشف عن أبعاد جمالية ودلالية قد لا تظهر من خلال القراءة التي تكتفي بالمعنى المباشر. وتختلف هذه الدراسة عن البحث الحالي في اقتصارها على التناص في قصيدتين، وعدم اتخاذ البناء الدرامي إطاراً شاملاً لتحليل التقنيات الفنية، بينما يتجه البحث الحالي إلى دراسة التناص والأساليب البلاغية وغيرها من الوسائل التي تتفاعل في بناء الموقف والصورة الدرامية. ويفيد البحث منها في الكشف عن طبيعة العلاقات النصية في شعر البحتري، وفي توضيح أثر استدعاء النصوص السابقة في تعميق الدلالة وإثراء المشهد الشعري .

التعقيب على الدراسات السابقة

يتضح من الدراسات السابقة أن البناء الدرامي في الشعر العربي القديم حظي باهتمام نقدي تناول بعض عناصره، مثل الزمان والمكان والحوار والحركة والصراع، كما اتجهت دراسات أخرى إلى تحليل جوانب فنية محددة في شعر البحتري، وفي مقدمتها التناص. وقد أفادت الدراسة الحالية من هذه الجهود في تأصيل مفهوم البناء الدرامي، وتحديد بعض آليات تحققه، والاستفادة من طرائق تحليل النص الشعري القديم. ومع ذلك، فإن البحث الحالي يختلف عنها في اتخاذه تقنيات البناء الدرامي إطاراً جامعاً لدراسة شعر البحتري، فلا يقتصر على عنصر درامي واحد أو ظاهرة فنية منفردة، وإنما يسعى إلى الكشف عن تفاعل التناص والأساليب البلاغية وغيرها من الوسائل التعبيرية في تشكيل المواقف والصور والدلالات. ومن هنا تتحدد إضافة البحث في دراسة الوظيفة الدرامية للتقنيات الفنية داخل السياق الشعري، والتمييز بين ما يسهم منها في بناء الحركة والمواجهة، وما يؤدي وظيفة تصويرية أو دلالية تعزز الأثر الدرامي.

تحليل تقنيات البناء الدرامي في شعر البحتري

أن البناء الدرامي في شعر البحتري يتشكل من خلال تفاعل مجموعة من التقنيات الفنية التي تتجاوز حدود التعبير الوصفي والغنائي المباشر، وتمنح التجربة الشعرية قدراً من الحركة والحيوية والتوتر. وقد ظهر أن التناص والأساليب البلاغية يمثلان وسيلتين مهمتين في هذا البناء؛ إذ يتيح التناص استحضار الموروث الديني والأدبي والثقافي وإعادة تشكيله داخل الموقف الشعري، في حين تسهم الأساليب البلاغية في تجسيد المعاني وتحريك الصور وإبراز التحولات النفسية والإنسانية.

المبحث الأول: التناص

يُعدّ التناص من التقنيات الفنية التي تسهم في تشكيل البناء الدرامي للنص الشعري؛ لأنه يقوم على استحضار نصوص سابقة وإعادة توظيفها في سياق جديد، بما يتيح للشاعر الإفادة من دلالاتها الثقافية والأدبية في بناء الموقف الشعري وتطويره. وقد ظهر مصطلح التناص في النقد الحديث على يد الناقدة «جوليا كريستيفا» في ستينيات القرن العشرين، متأثرة بأفكار «ميخائيل باختين» حول الحوارية وتداخل الخطابات (بارت، 1998: 29). وقد عرّفته بقولها: «إنّ كلّ نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نصّ هو تشرُّب وتحويل لنصوص أخرى» (الغذامي، 1998: 32). أما «محمد مفتاح» فقد نظر إليه بوصفه تعالقاً بين نصوص متعددة ونص جديد، تتداخل فيه المرجعيات بصورة يصعب حصرها، ويعتمد اكتشافها على ثقافة المتلقي وقدرته على إدراك الإشارات النصية والسياقية (مفتاح، 1986: 119)

وتتضح أهمية التناص في البناء الدرامي من خلال قدرته على توسيع أفق المعنى، وإثراء الموقف الشعري بدلالات مستمدة من نصوص ذات حضور في الذاكرة الثقافية للمتلقي. فالشاعر حين يستحضر آية قرآنية أو مثلاً عربياً أو بيتاً شعرياً سابقاً، لا يكرر النص المستحضر بالضرورة، وإنما يعيد توجيه دلالته بما يتناسب مع تجربته الجديدة. ومن ثم يصبح التناص وسيلة لبناء الحوار بين النصوص، وتعزيز الحجة، وتكثيف الانفعال، وإضفاء عمق ثقافي على الموقف الدرامي (عموري، 2017: 208)

وقد أفاد البحتري من هذه التقنية في عدد من قصائده ذات البناء الدرامي، إذ استحضر نصوصاً دينية وأدبية وأمثالاً عربية، وأعاد توظيفها بما يخدم طبيعة المواقف التي يصورها. ولا تقتصر أهمية هذا الاستحضار على الجانب الثقافي أو الجمالي، بل تتصل بوظيفة النص في بناء المشهد وتوجيه الحوار وتدعيم موقف الشخصية الشعرية. ويمكن الوقوف على هذه التقنية من خلال مستويين رئيسين: التناص مع القرآن الكريم، والتناص مع كلام العرب وآثارهم الأدبية.

أولا .التناص مع القرآن الكريم

يمثل القرآن الكريم مصدراً ثقافياً وبيانياً مهماً في الشعر العربي، لما تتضمنه آياته وقصصه من معانٍ وصور ومواقف راسخة في الذاكرة الجماعية. ويستفيد الشاعر من هذا الرصيد في بناء تجربته، إما باستحضار الألفاظ والتراكيب القرآنية، وإما بالإشارة إلى القصص والمواقف والمعاني التي يتضمنها الخطاب القرآني. وتكتسب هذه التقنية أهمية درامية عندما يتحول النص القرآني المستحضر إلى عنصر فاعل في الموقف الشعري، فيمنح الحوار قوة إضافية، أو يدعم حجة إحدى الشخصيات، أو يوسع دلالة الحدث. وقد أشار بعض الدارسين إلى قدرة التصوير القرآني على منح الصورة حياة وحركة، وإلى حضوره الراسخ في الذاكرة الثقافية للمسلمين، بما يجعله مصدراً غنياً للتشكيل الفني (سيد قطب، د.ت: 36؛ البادي، 2009: 44)

ومن نماذج ذلك قول البحتري:

فَيا أَسَفاً لَو قابَلَ الأَسَفُ الجَوى وَلَهفاً لَوَ اَنَّ اللَهفَ في ظالِمٍ يُجدي

أَبا الفَضلِ في تِسعٍ وَتِسعينَ نَعجَةً غِنىً لَكَ عَن ظَبيٍ بِساحَتِنا فَردِ

أَتَأخُذُهُ مِنّي وَقَد أَخَذَ الجَوى مـاخِذَهُ مِمـا أُسِرُّ وَمـا أُبدي

وَتَخطو إِلَيهِ صَبوَتي وَصَبابَتي وَلَم يَخطُهُ بَثّي وَلَم يَعدُهُ وَجدي

(البحتري، 1983: 529–530)

يستحضر البحتري في هذه الأبيات قصة الخصومة التي وردت في سورة «ص»، من خلال قوله «في تسعٍ وتسعين نعجة»، وهي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص: 23). ولا يأتي هذا الاستحضار بوصفه إشارة ثقافية عابرة، بل يؤدي وظيفة أساسية في بناء الموقف الشعري؛ إذ يوظف الشاعر القصة القرآنية في مخاطبة «أبي الفضل»، ويجعلها أساساً للمقارنة بين ما يملكه المخاطب وما يطلبه من الشاعر. ويتولد التوتر الدرامي من تعارض الرغبة بين الطرفين، فالمخاطب يسعى إلى أخذ ما يراه الشاعر عزيزاً عليه، في حين يعبّر الشاعر عن معاناته وتمسكه بما يحب. وهكذا تتحول الإشارة القرآنية إلى حجة يستند إليها الخطاب الشعري، وتمنح الحوار بعداً إضافياً؛ لأن المتلقي يستحضر القصة الأصلية وما تحمله من دلالات التعدي والخصومة، ثم يربطها بالموقف الجديد. وبذلك يسهم التناص في تكثيف الصراع وتوضيح طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب.

ويظهر التناص القرآني أيضاً في قول البحتري:

مـا رَأَينا مُعَلِّمـا قَطُّ مَحجو باً وَلَو أَنَّهُ عَلى مُلكِ كِسرى

قَد رَأَينا عَصاكَ صَفراءَ مَلساءَ مِنَ النَبعِ بَينَ صُغرى وَكُبرى

جَمَعَت خَلَّتَينِ حُسناً وَليناً لَكَ فيها ظَنّي مـارِبُ أُخرى

(البحتري، 1983: 68)

يتناص هذا المقطع مع قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه: 18). ويقوم هذا التناص على استحضار العصا بوصفها علامة قرآنية مرتبطة بشخصية موسى، مع توظيف العبارة «مآرب أخرى» التي تحيل المتلقي مباشرة إلى النص القرآني. ويؤدي هذا الاستحضار دوراً في بناء الموقف الشعري؛ إذ يجعل العصا محوراً للحديث، وينقلها من دلالتها المألوفة إلى صورة تتصل بصفات الممدوح وخصائصه. كما أن مخاطبة الشاعر للطرف الآخر بصيغة مباشرة، ثم إشارته إلى تعدد منافع العصا،

يضفي على المقطع طابعاً حوارياً، ويجعل التناص وسيلة لتوسيع المعنى وإثارة انتباه المتلقي. وتتمثل فاعليته الدرامية في أن العبارة القرآنية المختصرة تستدعي قصة كاملة في ذهن القارئ، فتمنح الصورة الشعرية خلفية ثقافية تسهم في تقوية الموقف وإثراء دلالته.

ومن النماذج الأخرى قول البحتري:

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيمـانَ الَّذينَ وَلوا إبداعَها فَأَدَقّوا في مَعانيها

فَلَو تَمُرُّ بِها بَلقيسُ عَن عُرُضٍ قالَت هِيَ الصَرحُ تَمثيلاً وَتَشبيها

تَنحَطُّ فيها وُفودُ المـاءِ مُعجَلَةً كَالخَيلِ خارِجَةً مِن حَبلِ مُجريها

(البحتري، 1983: 2417)

يستحضر الشاعر في هذه الأبيات قصة سليمان عليه السلام وتسخير الجن في خدمته، كما يستدعي شخصية بلقيس ومشهد الصرح الوارد في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (النمل: 44). ويقوم البناء الدرامي هنا على تحويل المكان الموصوف إلى مشهد يستدعي قصة قرآنية ذات شخصيات وأحداث معروفة؛ فالجن الذين يتولون إبداع المكان، وبلقيس التي يُفترض مرورها به، يجعلان الصورة الشعرية مشحونة بالحركة والتخييل. كما أن استحضار الصرح القرآني يمنح المكان الموصوف دلالة العظمة والإتقان، ويجعل المتلقي يقارن بين الصورة التي يعرفها من القصة القرآنية والصورة التي يرسمها البحتري. ومن ثم لا يقتصر التناص على تقوية المدح، بل يسهم في توسيع المشهد الدرامي، وإدخال شخصيات وأحداث من مرجعية سابقة في بنية النص الجديد، الأمر الذي يزيد الصورة حيوية ويمنحها بعداً ثقافياً واضحاً.

أما التناص القرآني غير المباشر فيظهر في قول البحتري:

فَاِسلَم أَميرَ المُؤمِنينَ وَلا تَزَل تُعطي الزِيادَةَ في البَقاءِ وَتُشكَرُ

عَمَّت فَواضِلُكَ البَرِيَّةَ فَاِلتَقى فيها المُقِلُّ عَلى الغِنى وَالمُكثِرُ

بِالبَرِّ صُمتَ وَأَنتَ أَفضَلُ صائِمٍ وَبِسُنَّةِ اللهِ الرَضِيَّةِ تُفطِرُ

(البحتري، 1983: 1071)

يحيل هذا المقطع إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: 7)، وذلك من خلال العلاقة الدلالية بين الزيادة والشكر في الآية، وبين العطاء والشكر في الأبيات. ولا يستحضر البحتري الآية بنصها، وإنما يوظف معناها في سياق المدح، ليجعل العطاء الذي يقدمه الممدوح سبباً لاستحقاق الثناء والشكر. ويظهر البعد الدرامي في بناء الخطاب على علاقة بين فعل الممدوح واستجابة الآخرين له؛ فالعطاء يتسع ليشمل الناس، ويقابله الشكر والثناء، ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير الصوم والبر والإفطار بما يربط صفات الممدوح بالقيم الدينية. ويمنح التناص هذا الموقف قوة معنوية مستمدة من المرجعية القرآنية، كما يساعد على بناء صورة الممدوح في إطار أخلاقي وديني يوجه استجابة المتلقي نحوه.

ثانياً .التناص مع كلام العرب وآثارهم الأدبية

لم يقتصر التناص في شعر البحتري على النصوص الدينية، بل امتد إلى الموروث العربي الذي يضم الأمثال والحكم والأشعار السابقة. ويستفيد الشاعر من هذا الموروث في بناء مواقفه الشعرية، مستنداً إلى ما تحمله تلك النصوص من دلالات معروفة لدى المتلقي. وتبرز الوظيفة الدرامية لهذا النوع من التناص حين يتحول المثل أو البيت المستحضر إلى حجة في الحوار، أو وسيلة لتقوية موقف المتكلم، أو أداة للمفاضلة بين الشخصيات والأحداث.

ومن نماذج التناص مع الأمثال قول البحتري:

أَيَترُكُ مـا كانَ مُستَخفِياً فَكَيفَ بِتَركِ الَّذي قَد ظَهَر

لَهُ خَلَفٌ مِثلُ غَرزِ الجَرا دِ بَعيدونَ مِن كُلِّ أَمرٍ يَسُر

أَيَعقوبَ أَختارُ أَم صالِحاً وَمـا فيهِمـا مِن خِيارٍ لِحُر

وَكُنتُ وَكانا كَمـا قيلَ لِل عِبادِيِّ أَيُّ حِمـارَيكَ شَرّ

(البحتري، 1983: 858)

يستحضر البحتري في البيت الأخير المثل العربي «أيُّ حمارَيْكَ شرّ؟»، المعروف في التعبير عن تساوي الطرفين في السوء أو عدم وجود خيار أفضل بينهما. ويأتي هذا المثل في سياق المفاضلة بين شخصيتين، إذ يطرح الشاعر سؤالاً لا يراد منه طلب الإجابة بقدر ما يراد منه إظهار انتفاء الخيار المناسب. وتتمثل الوظيفة الدرامية في تحويل المثل إلى حجة تحسم الموقف، وتكشف عن طبيعة الصراع بين الأطراف؛ فالشاعر لا يجد في أحد الطرفين ما يدعوه إلى تفضيله على الآخر. كما أن صيغة السؤال تمنح البيت طابعاً حوارياً، وتدفع المتلقي إلى المشاركة في المقارنة بين الشخصيتين، ثم الوصول إلى النتيجة التي يوجهه إليها الشاعر. وبذلك يتداخل المثل مع الموقف الجديد، فيكثف دلالته ويمنحه قوة إقناعية مستمدة من شيوعه في الذاكرة العربية.

ويظهر التناص مع الأمثال كذلك في قول البحتري:

إذا مـا حُصِّلَت عُليا قُرَيشٍ فَلا في العيرِ أَنتَ وَلا النَفيرِ

وَمـا رَغَثانُكَ الجَهمُ بنُ بَدر مِنَ الأَقمـارِ ثُمَّ وَلا البُدورِ

(البحتري، 1983: 942)

يعتمد الشاعر على المثل العربي «لا في العير ولا في النفير»، الذي يقال لمن لا ينتمي إلى أهل المكانة أو لا يُعتد به في أمر من الأمور. ويعيد البحتري توظيفه في سياق هجائي، فيجعله وسيلة للحكم على منزلة المهجو وموقعه بين الآخرين. ويكتسب الموقف طابعه الدرامي من المواجهة المباشرة التي ينشئها الخطاب بين الشاعر ومهجوّه؛ فالمثل لا يؤدي وظيفة التزيين، بل يتحول إلى أداة لإقصاء الطرف الآخر معنوياً، والتقليل من شأنه أمام المتلقي. كما أن استدعاء المثل يختصر معنى طويلاً في عبارة موجزة ذات دلالة معروفة، فيجعل الهجاء أكثر تركيزاً وتأثيراً، ويمنح موقف الشاعر قوة مستمدة من الحكمة الشعبية المتداولة.

ومن صور التناص مع الشعر العربي السابق قول البحتري:

وَأَقامَ يَطمَعُ في تَهَضُّمِ جانِبي مَن لَم يَكُن مِن قَبلُ فيهِ يَطمَعُ

إِلّا يَكُن ذَنبٌ فَعَدلُكَ واسِعٌ أَو كانَ لي ذَنبٌ فَعَفوُكَ أَوسَعُ

(البحتري، 1983: 1313)

تستدعي هذه الأبيات معنى العفو والرجاء الوارد في شعر أبي نواس، ولا سيما قوله:

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ

(أبو نواس، 2010: 154)

يتجلى التناص هنا في التقارب الدلالي بين النصين، ولا سيما في الجمع بين احتمال الذنب والرجاء في العفو، مع اختلاف السياق والجهة المخاطبة. فأبو نواس يوجه خطابه إلى الله تعالى طالباً المغفرة، بينما يوظف البحتري معنى العفو في مخاطبة ممدوح يرجو منه الصفح والإنصاف. وتنبني الصورة الدرامية على وجود طرف يطلب العفو وطرف يمتلك القدرة على منحه، وهو ما ينشئ علاقة حوارية قائمة على الرجاء وانتظار الاستجابة. كما أن استحضار المعنى السابق يمنح خطاب البحتري بعداً ثقافياً، ويجعل المتلقي يقارن بين التجربتين، ويدرك كيفية انتقال المعنى من سياق الدعاء والتضرع إلى سياق المدح والاستعطاف. وبذلك يتحول التناص إلى وسيلة لتقوية الموقف الشعري، وإبراز حالة المتكلم الذي يوازن بين الاعتراف بالذنب والثقة بسعة العفو.

يتضح مما تقدم أن التناص في شعر البحتري يؤدي وظيفة فنية تتصل مباشرة بتقنيات البناء الدرامي، إذ يسهم في توسيع المشهد الشعري، وتكثيف المعنى، وتعزيز الحوار والحجة، وإشراك المتلقي في استحضار المرجعيات الدينية والأدبية التي يستند إليها النص. وقد تنوعت مصادر هذا التناص بين القرآن الكريم، بما يتضمنه من قصص وشخصيات ومعانٍ راسخة، وبين الموروث العربي الذي يشمل الأمثال والأشعار السابقة. ففي التناص القرآني استثمر الشاعر القصص والعبارات والمعاني الدينية لتقوية الموقف الشعري وإضفاء عمق ثقافي عليه، بينما وظف الأمثال والحكم والأشعار السابقة في بناء الحجة والمفاضلة والهجاء والاستعطاف. ومن ثم لا يمثل التناص مجرد حضور لنص سابق داخل نص جديد، بل يصبح تقنية تسهم في تنظيم الموقف الدرامي وتوجيه دلالته، وتمنح تجربة البحتري قدرة على التواصل مع الذاكرة الثقافية للمتلقي.

المبحث الثانى: الأساليب البلاغية

تؤدي الأساليب البلاغية دوراً مهماً في تشكيل البناء الدرامي في شعر البحتري؛ فهي لا تقتصر على تحسين العبارة أو تجميل الصورة، بل تسهم في بناء الموقف الشعري، وإبراز التوتر بين أطرافه، ونقل التجربة من مستوى التعبير المباشر إلى مستوى التصوير والحركة والإيحاء. وقد أحسن البحتري توظيف عدد من الأساليب البيانية والبديعية والمعنوية بما يتناسب مع طبيعة التجربة التي يعرضها، فجعل التشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير والاعتراض وسائل فنية تساعد على تجسيد الصراع وإبراز أبعاده النفسية والمكانية.

وتتضح أهمية هذه الأساليب حين ننظر إليها في ضوء علاقتها بالموقف الدرامي؛ فالتشبيه قد يحول المعنى إلى مشهد محسوس، والاستعارة قد تمنح المعاني المجردة صفات الشخصيات والأفعال، والكناية تتيح التعبير غير المباشر عن الحالة النفسية، في حين يسهم التقديم والتأخير والاعتراض في توجيه انتباه المتلقي وتحديد العناصر الأكثر أهمية في المشهد. ومن أبرز هذه الأساليب ما يأتي:

أولاً: أسلوب التشبيه

يؤدي التشبيه وظيفة درامية حين يتجاوز توضيح المعنى إلى بناء صورة تساعد المتلقي على تصور الموقف ومتابعة تطوره. ويظهر ذلك في قول البحتري:

وَكَأَنَّ الزَمـانَ أَصبَحَ مَحمو لـاً هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسِّ

وَاِشتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غَبنٍ بَعدَ بَيعي الشَآمَ بَيعَةَ وَكسِ

(البحتري،1983: ص 1153)

يفتتح الشاعر المشهد بتشبيه الزمان بكائن يحمل ميلاً إلى الأخس والأدنى، فيحوّل الزمن من إطار مجرد تجري فيه الأحداث إلى قوة تبدو كأنها تتدخل في مصير الشاعر وتوجهه نحو ما لا يرضاه. ويتضح البعد الدرامي في المقابلة بين حالين: بيع الشام وشراء العراق، إذ يعرض الشاعر تجربته بوصفها انتقالاً من وضع إلى آخر لم يحقق له ما كان يرجوه. ويأتي تكرار لفظ «الأخس» ليؤكد الإحساس بالانحدار والغبن، ويكشف عن موقف نفسي يتسم بالرفض والمرارة. وهكذا يجمع التشبيه بين تصوير الزمان بوصفه قوة مؤثرة، وتجسيد موقف الذات الشاعرة التي تشعر بأنها وقعت تحت تأثير ظروف لم تكن في صالحها.

ويتواصل توظيف التشبيه في القصيدة نفسها، حين يقول البحتري:

جِلَلٌ لَم تَكُّ كَأَطلالِ سُعدى في قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ مُلسِ

وَمَساعٍ لَولا المُحاباةُ مِنّي لَم تُطِقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعَبسِ

(البحتري،1983: ص 1155)

يقيم الشاعر الصورة على نفي المشابهة بين الحُلَل التي يتحدث عنها وأطلال سعدى القائمة في أرض مقفرة، وبذلك لا يقدم صورة مباشرة لما يصفه فحسب، بل يستدعي صورة الأطلال وما يرتبط بها من دلالات الخراب والغياب، ثم ينفي انطباقها على المشهد الذي يريد إبرازه. وتكمن الوظيفة الدرامية لهذا التشبيه في خلق تقابل بين صورتين: صورة توحي بالبلى والوحشة، وأخرى تدل على الرفعة والبهاء. كما ينتقل الشاعر من وصف المكان إلى الإشارة إلى المساعي والأفعال، فيتسع المشهد من الصورة المكانية إلى الموقف الذي يتضمن المفاضلة وإظهار القدرة. وبذلك يسهم التشبيه في بناء خلفية شعورية تساعد المتلقي على إدراك التباين بين الماضي والحاضر، وبين ما يبعث على الأسى وما يستحق الإعجاب.

ويبلغ التشبيه حضوراً أوضح في تصوير إيوان كسرى، حين يقول:

وَكَأَنَّ الإيوانَ مِن عَجَبِ الصَن عَةِ جَوبٌ في جَنبِ أَرعَنَ جِلسِ

يُتَظَنّى مِنَ الكَآبَةِ إِذ يَب دو لِعَينَي مُصَبِّحٍ أَو مُمَسّي

مُزعَجاً بِالفِراقِ عَن أُنسِ إِلفٍ عَزَّ أَو مُرهَقاً بِتَطليقِ عِرسِ

(البحتري،1983: ص 1159)

يعتمد الشاعر على تشبيه الإيوان بجوب في جنب جبل عظيم، ليقدم صورة خارجية توضح ضخامته وتميز بنائه، ثم ينتقل من الوصف المكاني إلى تصوير حالته النفسية، فيجعله شبيهاً بإنسان أصابه الفراق وأثقلته الوحشة. ويكشف هذا الانتقال عن تطور درامي في بناء الصورة؛ إذ يبدأ المشهد

بإبراز عظمة المكان، ثم يتحول إلى مشهد إنساني تتجسد فيه آثار الغياب. فالإيوان لا يظهر بناءً معمارياً صامتاً، بل يبدو كأنه شخصية تعاني فقد أهلها، وتعيش حالة من الانقطاع عن الأنس الذي كان يحيط بها. وقد أسهم التشبيه في تحويل المكان إلى طرف داخل التجربة الدرامية، فأصبح قادراً على حمل مشاعر الحزن والفراق، وهو ما يجعل الصورة أكثر تأثيراً من الوصف المباشر.

ثانياً: أسلوب الاستعارة

تقوم الاستعارة على نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة المشابهة، وهي تتيح للشاعر أن يمنح المعاني المجردة صفات محسوسة، وأن يحول الأفكار والانفعالات إلى صور حية. ويظهر هذا التوظيف في قول البحتري:

وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَه رُ إِلتِماساً مِنهُ لِتَعسي وَنَكسي

(البحتري،1983: ص 1152)

تتمثل الاستعارة في قوله «زعزعني الدهر»، إذ يصور الدهر قوة قادرة على زعزعة الإنسان وإضعاف ثباته، وكأنه طرف يواجه الذات الشاعرة ويحاول إسقاطها. ويقوم البناء الدرامي في البيت على تعارض إرادتين؛ إرادة الدهر التي تسعى إلى إلحاق الأذى بالشاعر، وإرادة الشاعر الذي يواجه ذلك بمحاولة التماسك والثبات. وتبرز أهمية الاستعارة في أنها تجعل المحنة التي يمر بها الشاعر مواجهة محسوسة، بدل أن تبقى مجرد إحساس بالضيق أو الشكوى من تقلبات الحياة. كما أن الفعل «تماسكت» يمثل استجابة مباشرة لفعل «زعزعني»، فينشأ بين الفعلين تقابل يكشف عن حركة الصراع، ويبرز قدرة الذات على مقاومة ما تتعرض له من ضغوط.

وتتواصل هذه المواجهة في قوله:

بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِندي طَفَّفَتها الأَيّامُ تَطفيفَ بَخسِ

(البحتري،1983: ص 1153)

يصور الشاعر الأيام كأنها جهة تتصرف في نصيبه من الحياة، فتنتقص منه وتبخسه حقه. وتقوم الاستعارة على إسناد فعل التطفيف إلى الأيام، وهو فعل يرتبط بالظلم ونقصان الحقوق، وبذلك تتحول الأيام إلى طرف يمارس فعلاً عدائياً تجاه الذات الشاعرة. ويكشف هذا التصوير عن امتداد الصراع من مجرد اضطراب عابر إلى شعور بالظلم والحرمان، إذ لا يرى الشاعر أن ما أصابه مجرد تقلب طبيعي، بل يصوره بوصفه انتقاصاً من حقه في الحياة. وتؤدي الاستعارة هنا وظيفة درامية تتمثل في تجسيد الجهة التي تصدر عنها المعاناة، وتحديد طبيعة الفعل الذي تتعرض له الذات، مما يعمق الإحساس بالتوتر والغبن.

وفي سياق تصوير آثار الزمن في المكان، يقول البحتري:

نقل الدهر عهدهن عن الجد ة حتى غدون أنضاء لُبسِ

(البحتري،1983: ص 1155)

يجعل الشاعر الدهر فاعلاً يقوم بنقل الأشياء من حال إلى حال، فيصوره كأنه شخص يتولى تغيير ملامح المكان وينقله من الجدة إلى البلى. وتنبع القيمة الدرامية من أن هذا التحول لا يقدم بوصفه وصفاً زمنياً مجرداً، بل بوصفه فعلاً أحدث تغيراً واضحاً في صورة المكان ومصيره. فالأماكن التي كانت تحمل مظاهر الرفاه والعظمة أصبحت آثاراً بالية، وهو ما يجعل الزمن قوة فاعلة في المشهد، ويجعل المكان شاهداً على آثار فعلها. ومن خلال هذه الاستعارة يتداخل الصراع بين الزمن والمكان، وتتحول آثار التغير إلى صورة درامية تختزن معنى الفقد والزوال.

ثالثاً: أسلوب الكناية

تمنح الكناية النص مساحة من الإيحاء، لأنها تتيح للشاعر التعبير عن المعنى من خلال علامة تدل عليه دون التصريح به. وتؤدي هذه التقنية وظيفة درامية حين تجعل المتلقي يستنتج الحالة النفسية أو الموقف من خلال القرائن والصور التي يقدمها الشاعر. ومن ذلك قول البحتري:

عَكَسَت حَظُّهُ اللَيالي وَباتَ المُشتَري فيهِ وَهوَ كَوكَبُ نَحسِ

فَهوَ يُبدي تَجَلُّداً وَعَلَيهِ كَلكَلٌ مِن كَلاكِلِ الدَهرِ مُرسي

(البحتري،1983: ص 1159)

تقوم الصورة على الإشارة إلى انقلاب الحظ وتغير الأحوال، من خلال قوله «بات المشتري فيه وهو كوكب نحس»، إذ يستحضر الشاعر دلالة الكوكب وما ارتبط به من اعتقاد في الحظ والتأثير في المصائر، ليعبر عن شدة ما أصاب المكان من تغير. ثم ينتقل إلى قوله «فهو يبدي تجلداً»، فيمنح الإيوان هيئة إنسان يحاول إظهار الصبر والثبات، على الرغم من الثقل الذي يضغط عليه. وتتمثل الوظيفة الدرامية في الجمع بين المظهر الخارجي الذي يوحي بالتجلد والحالة الداخلية التي تكشف عن المعاناة؛ فالإيوان يبدو ثابتاً في صورته، لكنه يحمل آثار الفقد والانكسار. وهكذا تساعد الكناية على بناء صورة غير مباشرة للمحنة، وتجعل المتلقي يستنتج ما يعانيه المكان من خلال العلامات التي تحيط به، بدل التصريح بالحزن والخراب.

رابعاً: أسلوب التقديم والتأخير

يُعد التقديم والتأخير من الأساليب التي تتيح للشاعر إعادة ترتيب عناصر الجملة وفق ما يقتضيه المقام، فيقدم عنصراً يريد لفت الانتباه إليه أو تخصيصه بالعناية. وتظهر هذه التقنية في قول البحتري:

رشادك لا يحزنك بين ابن همةٍ يتق إلى العلياء ليس له ندُ

(البحتري،1983: ص 724)

يبرز في هذا البيت تقديم شبه الجملة «له» على الاسم «ند» في تركيب «ليس له ند»، إذ يتقدم العنصر المتعلق بالاختصاص والعلاقة ليكون أكثر حضوراً في سياق العبارة. ويساعد هذا الترتيب على توجيه انتباه المتلقي إلى معنى التفرد وانتفاء النظير، وهو معنى يتصل بصورة الشخصية التي يعرضها الشاعر في سياق الفخر والإشادة. ومن الناحية الدرامية، يسهم هذا التقديم في تحديد الموقف الذي يريد النص تثبيته، وهو إبراز الشخصية بوصفها صاحبة همة لا يشاركها أحد في منزلتها. غير أن أثر التقديم هنا يظل أثراً في توجيه الدلالة وتأكيدها، ولا ينبغي تحميله وحده مسؤولية بناء مشهد صراعي كامل؛ فهو يعمل ضمن السياق العام للقصيدة، ويعزز صورة الشخصية وموقفها.

خامساً: أسلوب الاعتراض

يتيح الاعتراض إدراج عبارة داخل التركيب تؤدي وظيفة توضيحية أو تأكيدية أو تصويرية، مع إمكان استقامة أصل المعنى من دونها. وتظهر قيمته الدرامية حين تسهم العبارة المعترضة في توسيع المشهد أو توجيه انتباه المتلقي إلى تفصيل يكتسب أهمية في سياق الحدث. ومن ذلك قول البحتري في وصف الذئب:

واطلس ملء العين يحمل زوره واضلاعه من جانبيه شوى نهد

له ذنب مثل الرشاء يجره ومتن كمتن القوس أعوج منأد

(البحتري،1983: ص 743)

يعتمد الشاعر في البيتين على وصف تفصيلي للذئب، فيبدأ بتقديم صورته العامة وحجمه، ثم ينتقل إلى إبراز أضلاعه البارزة من جانبيه، بما يكشف عن شدة جوعه وضعف جسده. وتؤدي عبارة «من جانبيه» وظيفة تصويرية مهمة؛ لأنها تحدد موضع بروز الأضلاع، وتجعل الصورة أكثر دقة ووضوحاً، فيتخيل المتلقي جسد الحيوان وما أصابه من هزال. وتكمن القيمة الدرامية في أن هذا الوصف لا ينفصل عن الحدث الذي يتهيأ له الشاعر؛ فالذئب ليس عنصراً طبيعياً في المشهد فحسب، بل هو طرف في مواجهة تقتضي الحذر والاستعداد. ومن ثم فإن إبراز علامات الجوع والهزال يفسر جانباً من خطورة الموقف، ويهيئ المتلقي لمتابعة المواجهة بين الإنسان والحيوان في فضاء الصحراء.

ويواصل الشاعر رسم صورة الذئب في قوله:

له ذنب مثل الرشاء يجره ومتن كمتن القوس أعوج منأد

(البحتري،1983: ص 743)

يستند الشاعر إلى تشبيه الذنب بالحبل، والظهر بمتن القوس، ليحول أجزاء جسد الحيوان إلى صور مألوفة تقرب هيئته إلى ذهن المتلقي. ويؤدي هذا الوصف وظيفة تمهيدية في البناء الدرامي؛ لأنه يستكمل رسم ملامح الطرف المقابل قبل الانتقال إلى لحظة المواجهة. كما أن تتابع الصور الجزئية يجعل المشهد أقرب إلى حركة النظر التي تتفحص الحيوان من أطرافه إلى ظهره، فيتكون تصور بصري متدرج له. ومن هنا لا تقتصر أهمية التشبيه على تحسين الوصف، بل تتمثل في إعداد المتلقي لفهم طبيعة الخطر الذي يواجهه الشاعر، وإضفاء طابع مشهدي على اللقاء بين الطرفين.

يتضح مما تقدم أن الأساليب البلاغية في شعر البحتري تؤدي وظائف تتجاوز الزخرفة اللفظية، إذ تسهم في تشكيل الصورة الدرامية وتحديد أطراف الموقف وتوجيه انفعال المتلقي. فقد أسهم التشبيه في تحويل المعاني المجردة والمواقف النفسية إلى صور محسوسة، كما جعل المكان طرفاً يحمل آثار الفقد والوحشة. ومنحت الاستعارة الدهر والأيام صفات القوى الفاعلة التي تواجه الذات الشاعرة، فكشفت عن طبيعة الصراع بينها وبين تقلبات الحياة. أما الكناية فقد أتاحت التعبير عن المحنة بطريقة إيحائية تستدعي مشاركة المتلقي في استنتاج المعنى، في حين أسهم التقديم والتأخير في توجيه الانتباه إلى الدلالات المقصودة، وأدى الاعتراض وظيفة تصويرية ساعدت على إبراز التفاصيل المؤثرة في مشهد المواجهة. وبذلك تتكامل هذه الأساليب في بناء المشهد الشعري، وتمنحه حركة وتوتراً وعمقاً دلالياً، وتكشف عن قدرة البحتري على توظيف البلاغة في خدمة البناء الدرامي.

نتائج البحث

توصل البحث لى النتائج التالية:

إن البناء الدرامي في شعر البحتري يتشكل من خلال تفاعل مجموعة من التقنيات الفنية التي تتجاوز حدود التعبير الوصفي والغنائي المباشر، وتمنح التجربة الشعرية قدراً من الحركة والحيوية والتوتر. وقد ظهر أن التناص والأساليب البلاغية يمثلان وسيلتين مهمتين في هذا البناء الدرامى.

أظهر التحليل أن التناص يمثل إحدى التقنيات الفنية التي أسهمت في إثراء البناء الدرامي في شعر البحتري، من خلال استحضار النصوص القرآنية والأمثال العربية والأبيات الشعرية السابقة، وإعادة توظيفها في سياقات شعرية جديدة. فقد أتاح التناص للشاعر استدعاء شخصيات ومواقف معروفة في الذاكرة الثقافية، وربطها بتجاربه ومقاصده، الأمر الذي أضفى على بعض قصائده طابعاً حوارياً، وأسهم في تكثيف الموقف الشعري وتعميق دلالته. كما تبين أن التناص لم يكن مجرد اقتباس لفظي، بل أدى في بعض النماذج وظيفة حجاجية ومواجهاتية، ولا سيما حين استُخدمت القصص والأمثال لتقوية موقف الشاعر أو توجيه خطابه إلى المخاطب.

كشف التحليل أن الأساليب البلاغية أسهمت في تشكيل الصورة الدرامية، من خلال نقل التجربة من التعبير المباشر إلى التصوير الحسي والانفعالي. فقد أدى التشبيه دوراً في تقريب المشاهد وتوضيح العلاقات بين عناصر الصورة، وأسهمت الاستعارة في تجسيد المعاني المجردة، ولا سيما حين صوّر الشاعر الدهر والأيام بوصفها قوى فاعلة تؤثر في الإنسان وتغير أحواله. كما أتاحت الكناية التعبير عن المعاناة وتقلب الحظ بصورة غير مباشرة، بما يمنح الصورة عمقاً دلالياً. أما التقديم والتأخير والاعتراض فقد أسهما في توجيه الانتباه إلى بعض عناصر الخطاب وتأكيدها. وتبين أن القيمة الدرامية لهذه الأساليب تتفاوت بحسب السياق؛ فبعضها يسهم في تحريك المشهد وتجسيد الموقف، وبعضها الآخر يؤدي وظيفة تصويرية أو دلالية تعزز الأثر الفني دون أن يشكل حدثاً درامياً مستقلاً.

خلص البحث إلى أن التناص والأساليب البلاغية يمثلان وسيلتين مهمتين في هذا البناء؛ إذ يتيح التناص استحضار الموروث الديني والأدبي والثقافي وإعادة تشكيله داخل الموقف الشعري، في حين تسهم الأساليب البلاغية في تجسيد المعاني وتحريك الصور وإبراز التحولات النفسية والإنسانية. كما أظهر التحليل أن التقنيات لا تؤدي وظائف متطابقة، ولا يمكن عدّ كل أسلوب بلاغي عنصراً درامياً بصورة تلقائية، بل تتحدد فاعليته بحسب موقعه من السياق ومدى إسهامه في بناء الموقف أو تطوير الصورة أو تعميق الدلالة. وبذلك تتجلى خصوصية البحتري في قدرته على توظيف أدواته التعبيرية ضمن بنية شعرية تتفاعل فيها الصورة واللغة والذاكرة الثقافية، بما يكشف عن تنوع الإمكانات الدرامية في شعره.

توصيات البحث

1 .توسيع الدراسات النقدية التي تتناول البناء الدرامي في الشعر العربي القديم، وعدم حصره في الشعر المسرحي أو النصوص ذات الطابع القصصي.

2 .دراسة التقنيات الدرامية لدى البحتري في ضوء بقية عناصر البناء الشعري، ولا سيما الحوار والحركة والمشهد وتعدد الأصوات، للكشف عن ترابطها مع التناص والأساليب البلاغية.

3 .إجراء دراسات مقارنة بين البحتري وغيره من شعراء العصر العباسي؛ لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في توظيف التقنيات الدرامية.

4 .العناية بالوظائف السياقية للأساليب البلاغية في الدراسات التطبيقية، وعدم الاكتفاء بتحديد نوع الأسلوب أو تصنيفه البلاغي، بل بيان أثره في بناء الصورة والموقف والدلالة.

5 .دراسة أثر الموروث الديني والأدبي والأمثال العربية في تشكيل المشاهد الشعرية لدى البحتري، مع التمييز بين التناص المباشر والتناص الضمني.

6 .الإفادة من المناهج النقدية الحديثة في تحليل الشعر القديم، مع مراعاة خصوصية القصيدة العربية وخصائص بنائها اللغوي والفني.

7. تشجيع الدراسات التي تتناول العلاقة بين البناء الدرامي والبناء التصويري في شعر البحتري، للكشف عن دور الحركة والتشخيص والوصف في تحويل الصورة الشعرية إلى مشهد فني متكامل.

مصادرالبحث

أ. الكتب والدواوين

أبو نواس. (2010م). ديوان أبي نواس برواية الصولي. تحقيق بـهجت عبد الغفور الحديثي. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد. (1983). شرح وتعليق حسن كامل الصيرفي. القاهرة: دار المعارف مصر.

البادي، حصة. (2009). *التناص في الشعر العربي المعاصر*. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

بارت، رولان. (1998). *لذة النص*. ترجمة محمد خير البقاعي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

حسيب، عماد. (2011). *البناء الدرامي في الشعر العربي القديم*. القاهرة: شمس للنشر والإعلام.

سيد قطب. (د.ت). *التصوير الفني في القرآن*. القاهرة: دار الشروق.

عموري، نعيم. (2017). *التناص القرآني في أشعار أديب كمال الدين*. مجلة دراسات الكوفة، العدد 47.

عمران، علي. (2013). «التقنيات الدرامية في البناء الشعري: دراسة في فاعلية النص الشعري». الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام.

الغذامي، عبد الله. (1998). *الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر*. ط4. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مفتاح، محمد. (1986). *تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

ب. البحوث

بلهادي، حسين. (2023). «التناص في شعر البحتري: قراءة في المرثية والسينية». *مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب*، مج 9، ع 1، ص 60–78.

حريري، أناهيد عبد الحميد جمال. (2023). «تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري». *المجلة العربية مداد*، مج 7، ع 23، ص 1–48.

دهنون، آمال. (2021). «البناء الدرامي في القصيدة المعاصرة». *مجلة قراءات*، مج 13، ع 1، ص 113–126.

داوود، محمد داوود محمد، وعزيبي، مصباح علي موسى. (2024). «بنية الزمكان الدرامية في الشعر العربي القديم: قراءة في شعر عمر بن ربيعة». *مجلة الدراية*، مج 2024، ع 24، ج 2، ص 553–599.

لهيمص، رجاء سالم. (2023). «الوصف في شعر البحتري». *مجلة كلية الإمام الكاظم*، مج 7، ع 2، ص 173–191.

محمد، أحمد محمد علي. (2016). «الخصائص الفنية في شعر البحتري». [رسالة ماجستير]، جامعة العلوم والتكنولوجيا، السودان.

يوسف عناد، علي حسين. (2016). «بناء القصيدة العربية بين الاشتراط والتوصيف». *مجلة أهل البيت*، ع 19، ص 401–415.